

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - الدرس ( ٠٤١ - ١٢٧ ) : توجيهات نبوية في التعليم  
عن طالب العلم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٠-١١-١٩٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

مطالب الإنسان تنصب في حقلين فقط :

قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزَوِّجَكُ مِنْ كُنْتَنَ تَرِدُنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْنَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً \* وَإِنْ كُنْتَنَ تَرِدُنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً

عَظِيماً﴾

[سورة الأحزاب: ٢٨-٢٩]

ذكرت مرة أن الإنسان له مطالب في الحياة ، لكن هذه المطالب مهما تنوعت ، ومهما تعددت ، ومهما اختلفت من إنسان لآخر لا يمكن إلا أن تنصب في حقلين اثنين ، إما أن ترجو الله والدار الآخرة ، وإما أن ترجو الدنيا وزينتها ، فإذا رجوت الله والدار الآخرة قبل كل شيء فلا بد من العلم ، لأن أي حركة بلا علم يوجد بداخلها غلط كبير ، يوجد فيها جهد ضائع، فيها انحراف ، فيها هلاك ، السيارة حركتها بلا مقود دمار محقق ، هلاك محقق ، حادث محقق، سقوط في الوادي محقق ، دائماً الحركة من دون علم خطيرة ، والعلم من دون حركة موت ، مقود دقيق جداً ولكن لا يوجد محرك ، فما قيمة هذا المقود ؟ ما قيمة دقته ؟ ما قيمة توازنه ؟ ما قيمة فعاليته ما دامت المركبة متوقفة ؟ أما لو أن هناك محركاً فعلاً عندئذ لا بد من المقود ، فالحركة من دون علم انحراف ، الحركة من دون علم جهد ضائع ، الحركة من دون علم قد تكون هلاكاً ، فلذلك السؤال الكبير قبل كل شيء اسأل نفسك هذا السؤال : ماذا تريد ؟ إن كنت تريد الحياة الدنيا وزينتها فلا شأن لك بالعلم إطلاقاً ، لك شأن آخر بعلم آخر ، بعلم الدنيا ، بعلم كسب المال ، بعلم الارتقاء في المناصب ، بعلم اقتناص المناسبات ، إذا أردت الدنيا وزينتها فأنت بحاجة إلى علم آخر .

الفرق بين الجاهل و العالم :

والحقيقة :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾

[سورة الأحزاب : ٢١]

متى يغدو النبي أسوة حسنة لك ؟ متى لا يغادر النبي ذاكرتك ؟ متى لا يغادر النبي وجدانك ؟ متى لا يغادر النبي وأخلاقه وشمائله ومواقفه خواطره ؟ إذا كنت تريد الله ورسوله والدار الآخرة ، أما إذا أردت المال وكان أرباب المال في ذهنك ، والمتفوقون في كسب المال في خاطرك ، والمتفوقون في تمتع في مباحج الدنيا في مخيلتك فالقضية واضحة جداً ، إن كنت تريد الله ورسوله والدار الآخرة عندئذ يكون النبي هو الأسوة ، هو القدوة ، عندئذ تغدو طالب علم ، وهؤلاء الذين يأتون إلى المساجد في الأصل هم أرادوا الله ورسوله والدار الآخرة ، ولأنهم أرادوا الله ورسوله والدار الآخرة جاؤوا ليتعلموا ماذا أراد الله ورسوله ، وماذا يتوجب عليهم ليصلوا إلى الآخرة بسلام ، الآن كلمة طالب علم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني أن هذا الإنسان أراد الله ورسوله والدار الآخرة ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام في حديث مرسل :

### ((طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات))

[الدليمى فى الفردوس عن حذيفة]

وهذا مقياس دقيق ، فإذا شعرت أنك بين أهل الدنيا ، بين أرباب المال ، بين الغافلين ، بين التائهين ، بين الشاردين فكأنك حيّ ينبض قلبك بالحياة ، يتقد ذهنك بالأفكار ، تضطرب نفسك بالمشاعر ، وأنت بين أموات لا حراك بهم ، ولا مشاعر لهم ، ولا قلوب لهم ، إذا كنت كذلك فأنت طالب علم ورب الكعبة ، هذا مقياس المتعلم ، إذا أردت أن توازنه بالجاهل فهو كالحى بين الميت ، تصور إنساناً حياً مؤنساً مفكراً ، يشعر ، يتكلم ، ينطق ، يداعب ، يمزح ، يلقي علماً ، يلقي موعظة ، يلقي حكمة ، يعطيك من ماله ، يرحب بك فى بيته ، يدعوك إلى الطعام ، أما الميت فمخيف ، والغرفة التي يموت فيها الميت تبقى أشهراً مهجورة ، كان الإنسان مصدر أنس للبيت ، كان إذا دخل تدافع أطفاله إليه ، كان إذا دخل البيت تراقص أولاده أمامه ، كان إذا دخل إلى البيت دخلت معه الحياة ، دخل معه السرور ، فماله أصبح الآن مخيفاً ؟ فرق كبير بين الحى والميت ، عيني الحى غالية جداً ، يقول لك : العملية كلفتني ثلاثمئة ألف ، ما هي هذه العملية ؟ يوجد خوف على الشبكية ، أصبح التثبيث بالليزر ، العين بعد الموت كعين البقرة ، وعين الخاروف ، كالمهملات ، لا قيمة لها إطلاقاً ، وازن بين عين فى إنسان حى وهذه العين فى إنسان ميت ، لا قيمة لها ، الكبد له خمسة آلاف وظيفة ، بعد الموت صفر ، أما إذا ذبح الحيوان فأصبحت تباع بالكيلو ، أما عملية فى الكبد والجسم حى فلا بد لها من طبيب جراح ، اللحم يقطع قطعاً ، أما هنا فيقول : أجرينا عملية على التلفاز لدقتها ، إذاً هذا الحديث الأول :

### ((طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات))

[الدليمى فى الفردوس عن حذيفة]

إذا شعرت من دون كبير ، من دون استعلاء ، من دون غطرسة ، إذا شعرت وقد تلقيت العلم لسنوات عديدة أصبح عندك مفهوم واضح عن حقيقة الكون ، وعن حقيقة الحياة ، وعن سر الوجود ، وعن حقيقة التكليف ، وعن مقومات التكليف ، وعن العقل ، وعن النقل ، وعن أسماء الله الحسنى ، وعن شمائل النبي ، وعن حقيقة النبوة ، وعن هذا الكتاب الكريم ، وعن آياته الكونية ، وعن آياته التشريعية ، وعن آياته التي تأخذ طابع القوانين ، وعن أخبار الماضي ، وعن غيب الماضي ، وعن غيب المستقبل ، وعن غيب الحاضر ، وعن الحلال والحرام ، وما يجوز وما لا يجوز ، والخير والشر ، إذا كنت قد طلبت العلم ، وجلست بين الجهال ، بين أهل المال ، بين أهل البدع ، بين المنحرفين ، بين التائهين ، بين الشاردين ، وشعرت بأنك حي بينما هم أموات ، فاسجد لله عز وجل شكراً على نعمة الهدى ، وأحياناً تسوقك الصدفة إلى أن تكون مع صديق قديم ، صديق قبل عشرين عاماً ، تستمع إليه ، فإذا هو ينطق بالجهل ، فإذا هو لا ينضبط بالشرع ، مزاحه رخيص ، كلامه ثقيل ، تعليقاته لاذعة ، مطالبه أرضية ، همومه سفلية ، تقول : سبحان الله ! تقول : كنت مثله ، كنت في هذا المستوى .

فالإنسان عندما يغيب ثلاثين سنة ، وتعرف صورته ، عندما كان شاباً ترى فرقاً واضحاً في ملامحه ، كذلك الإنسان لا تتبدل في يوم وليلة ملامح وجهه ، لكن من عام إلى عام ، من خمس سنوات إلى خمس سنوات ، كذلك طالب العلم ، قد لا يرى فرقاً واضحاً بين درس ودرس ، لكن بين فصل وفصل ، بين عام وعام يرقى وهو لا يدري ، فهذا الحديث الأول :

### ((طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات))

[الدلمي في الفردوس عن حذيفة]

هكذا قال عليه الصلاة والسلام . ولا أكتفكم أن المؤمن الصادق حينما يرى أهل الدنيا غارقين في شهواتهم ، يكفي أن ترى إنساناً في الستين أو السبعين يمضي ساعات طويلة في لعبة النرد ، ألا تقول له : إنك مسكين ، ماذا أبقيت لآخرتك ؟ يكفي أن ترى إنساناً على مشارف الستين لا يصلي ، إلى أين هو ذاهب ؟ ماذا أعدّ لآخرته ؟ تشعر أنك حي ، وهو بين الأموات ، والنبي من أين جاء بهذا الحديث ؟ جاء به من كتاب الله ، قال تعالى :

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

[سورة النحل : ٢١]

ووصف أهل الكفر بأنهم :

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

[سورة النحل : ٢١]

حديث آخر يقول :

### ((طالب العلم لله))

[الدليمي في الفردوس عن حسان بن أبي سنان]

هذا قيد ، معنى ذلك أن هناك من يطلب العلم لغير الله ، وقد قال بهذا الإمام الغزالي : " طلبنا العلم لغير الله ، فأبى العلم إلا أن يكون لله " .

هناك الكثير من الأشخاص تعلموا الشريعة لا حباً للشريعة ، لكن حباً لبعثة داخلية انتسبوا إليها ، فإذا هي تشدهم إلى الله ، طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله ، العلم فيه قوة جذب فظيعة ، تقرأ القرآن ، تقرأ الحديث النبوي ، تقرأ السيرة ، وتبقى كما كنت؟! هذا شيء مستحيل ، الحقيقة أثر العلم في نفس الإنسان واضح جداً ، والله العالم فيه صمت ، سكوت العالم علم ، سكوته له أصول ، إذا تكلم تكلم بأصول ، إذا ابتسم فالابتسامة أحياناً معصية ، شخص تعثر ، فالابتسامة معصية ، شخص سألك سؤالاً سخيلاً ، والله إذا سخرت منه لا تعرف الله أبداً ، سألك سؤالاً من أجل أن تشجع الناس على السؤال ، من أجل أن تجعلهم يندفعون إلى طلب العلم ، يجب أن تحترم هذا السائل ، ولو كان هذا السؤال سخيلاً أصغ إليه ، أجبه بأدب ، اشكره على هذا السؤال ، أما لو أنك سخرت ممن سأل ، وكان السؤال سخيلاً نفرت الناس من طلب العلم ، وخاف كل واحد أن يسأل ، يخاف أن يسألك فنتهك عليه ، لا أريد أن أسأله ، اسكت ، فهذا أفضل لك ، كلا ، إذا سألك سائل يجب أن تصغي له ، ويجب أن تبالغ في احترامه كي ينتشج ليسألك ثانية ، لأن مفتاح العلم السؤال ، فطلب العلم لله :

### ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة الأحزاب : ٢٩]

هناك أهداف كثيرة ، ذات مرة خطر في بالي مثل ، إن هناك طريقتين واضحين ، طريق إلى تل، على هذا التل قصر منيف ، فيه كل شيء ، وطريق إلى حفرة ما لها من قرار ، يمكن أن يكون الطريق الصاعدة طريق الجنة تنتهي بقصر منيف ، من باب التقريب ، والطريق الهابطة طريق النار ، تنتهي بحفرة ما لها من قرار ، هذا المثل وضحه النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال :

### ((أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ، ثَلَاثًا ، أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[أحمد عن ابن عباس]

خطر في بالي مرة أن هذه الطريق الصاعدة التي تنتهي بالقصر لها فروع ، طرقات فرعية توصل إلى الهاوية ، تصور هذا المنظر ، تل عليه قصر منيف ، ولهذا التل طريق صاعدة ، وطريق هابطة تنتهي بحفرة ما لها من قرار ، لكن يجب أن تعلم علم اليقين أنه على الطريق الصاعدة على القصر المنيف فروع تؤدي إلى الحفرة التي ليس لها قرار ، وأنت في طريق

الإيمان ، وأنت من رواد المساجد ، وأنت تطلب العلم هناك منزلقات ، منزلق أن تتداخل الدنيا بالآخرة ، قد ترى الدنيا من طرف الدين ، فتصبح مرتزقاً بعد أن كنت طالب علم ، فالبطولة وأنت في طريق الإيمان أن تبقى على الطريق الموصلة إلى القصر المنيف ، لا أن تتجذب إلى طرقات فرعية تؤدي بك إلى الحفرة التي ليس لها من قرار ، وأنت على الطريق الصاعدة إلى هذا القصر المنيف على جانبي الطريق فروع مغرية مزدهرة بالألوان ، بالأزهار ، بالرياحين ، لكنها توصل إلى الطريق الهابطة التي تنتهي إلى الجحيم ، لذلك عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَمَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ))

[ابن ماجه عَنْ ابْنِ عُمَرَ]

و :

((أندم الناس عالم دخل الناس بعلمه الجنة ، ودخل هو بعلمه النار))

[ورد في الأثر]

وقد يرى أهل النار اسماً لامعاً جداً ، يقولون : يا فلان ألم تكن كذا وكذا في الدنيا ؟ لك اسم كبير ، يقول : بلى ، يقولون : ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ يقول : كنت أمرمك بالمعروف ولا آتية ، وأناهاكم عن المنكر وآتية ، لهذا من الأدعية المؤثرة : " اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني ، اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك ، اللهم إني أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك ، اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك ألتمس به أحداً سواك " فطالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله .

يمكن أن ترى سيارة عامة فيها مئة راكب بين واقف وجالس ومزدحم ، هذا ذاهب لكي يشتري بيتاً ، هذا عنده دوام بعد الظهر ، هذا ذاهب ليقدم دعوى ، يقابل المحامي ، وفي داخل هذه المركبة العامة ثلاثة ذاهبون إلى مجلس علم ، الثلاثة غير السبعة والتسعين ، هؤلاء الثلاثة في سبيل الله ، كأنهم في جهاد في سبيل الله ، لذلك طالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله عز وجل .

### طالب العلم طالب الرحمة :

طالب العلم طالب الرحمة ، أنت ماذا تطلب ؟ دائماً أضطر لضرب أمثلة من الدنيا ، وضرب الأمثلة من السنة ، الآن لو لاحظت طالباً درس الطب سبع سنوات ، أصدقائه أغنياء ، في نزاهات ، وسهرات ، ومرح ، وفرح ، وزيارات ، ومغامرات ، وضحك ، هو وراء الطاولة في غرفته عشر ساعات في الدراسة ، لكن بعد سبع سنوات أخذ بعثة من أجل البورد ، بعدما عاد يقف على عيادته خمسون إلى ستين مريضاً ، كل مريض ألف ليرة ، خمسمئة تخطيط ، و

ثلاثمئة تصوير إيكو ، كل يوم خمسون ألفاً ، بعد شهر اشترى بيتاً بأرقى أحياء دمشق ، أربعمئة متر ، أخذ بيتاً في المصيف ، فيه حديقة ، لديه سيارتان ، عندما كان يدرس ، وينام يذهب لتغسيل وجهه ، وإذا دعى إلى سهرة يعتذر ، هذه السنوات السبع في الدراسة أصبح له بها هذا الدخل الكبير في الدنيا ، إذا كنت ذاهباً إلى المسجد ، أين كنت ؟ لدي درس علم ، إلى أين ذاهب ؟ إلى المسجد ، وأين كنت ؟ في المسجد ، بعد خمس سنوات يجب أن تقطف ثمار هذه المجالس ، يجب أن تحس أنك إنسان آخر غير أقربائك ، غير جيرائك ، غير أهلك ، غير أبناء مهنتك ، غير بقية التجار ، غير بقية الصناع ، غير بقية الموظفين ، غير الناس ، الإنسان متميز ، إنك طالب علم ، إن تحركت فوفق الشرع ، إن تكلمت فوفق الشرع ، إن تكلمت بنصيحة تركت بها أثراً بليغاً ، فالوقت ثمين جداً ، وحضور مجلس العلم أثنى ، لكن عندما تقطف ثماره لما تصلي صلاة متقنة ، لما تقرأ القرآن وتفهمه فهماً دقيقاً ، لما ترى الناس واقعين في حماقات ، واقعين في جهالات ، في ضلالات ، في خلافات ، في خصومات ، في دعاوى ، في كذب ، في بهتان ، في اختلاط ، في غيرة ، في خيانات ، نزهات مختلطة ، ترى الناس في الوحول يعيشون ، وأنت حفظك الله عز وجل بالعلم ، نزهتك نقية ، لك نزهة خاصة ، حتى سهرتك نظيفة ، لقاءاتك نظيفة ، ندواتك لطيفة ، ولائمك لطيفة ، ضمن الشرع ، لا يوجد مخالفة ، بالعكس الحديث عن الله عز وجل ، يجب أن تشعر بهذه الثمرة الكبيرة .

### طلب العلم مرتبة عالية جداً :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ أنا أتصفح هذا الكتاب ، الجامع الصغير ، أقول : ماذا أعطي هذا اليوم؟ وجدت بحث طلب العلم بحثاً راقياً جداً ، طالب العلم هذه مرتبة عالية جداً ، أحدهم يقول لك : أنا معي بورد ، يمشي بالعرض ، هذا فلان يقول : معي اختصاص كذا ، هذا فلان ابن فلان ، كل إنسان يتيه بشيء ، إما بنسب ، أو بحسب ، أو بمال ، أو بتجارة ، أنا لدي معمل إنتاجه اليومي كذا ، هذا حجم المال عنده كذا ، كل هذا الذي يفخر به لا قيمة له ، لكن حق لك أن تقول : أنا طالب علم ، وأنصحك مهما تعلمت فلا تخرج عن هذه الكلمة ، وأنا أسمع هذه الكلمة من علماء كبار ، أنا طالب علم ، لكن نحن معاشر العلماء ، من حضرتك ؟ لا تقل : أنا عالم ، قل : أنا طالب علم ، مهما ارتقى بك العلم قل : أنا طالب علم ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

**((يظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل ))**

[ورد في الأثر]

في اللحظة التي يظن فيها أنه علم الآن أصبح جاهلاً ، يظل المرء عالماً ما طلب العلم ، ومن صفات العلماء التواضع ، العالم الحقيقي متواضع ، النبي عليه الصلاة والسلام حينما غادر سيدنا عمر مكة المكرمة معتمراً طلب منه الدعاء ، عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُمْرَةِ فَأَذِنَ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ :

## ((يَا أُخِيَّ أَشْرِكْنَا فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِكَ وَلَا تَنْسَنَا))

[ابن ماجه عن عمر]

رسول الله ، سيد الخلق ، حبيب الحق ، سيد ولد آدم ، المعصوم ، الذي يوحى إليه ، الذي أطلعته الله على ملكوت السماء والأرض .

## ((يَا أُخِيَّ أَشْرِكْنَا فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِكَ وَلَا تَنْسَنَا))

[ابن ماجه عن عمر]

لك أن تفتخر ، سيدنا الحسن يمشي مزهواً ، فقيل له : يا بن رسول الله ، هو ابن ابنته أزهو في الإسلام ؟ قال : لا ، هذا عز الطاعة ، فأنت إذا كنت طالب علم حقيقة تطلب معرفة الله ليكون عملك كما يرضي الله فأبشر .

## طالب العلم قلعة من قلاع الإسلام و ركن من أركانه :

فأول حديث :

### ((طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات))

[الدليمي في الفردوس عن حذيفة]

و :

### ((طالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله))

[الدليمي في الفردوس عن حسان بن أبي سنان]

وطالب العلم طالب الرحمة ، أنت طالب رحمة الله ، كلمة رحمة الله تعرفها ، أي رحمة الله في الدنيا ، أي ينزل عليك نعمة الأمن ، رحمة الله في الدنيا أي ينزل عليك نعمة الصحة ، رحمة الله في الدنيا أي ينزل عليك سمعة طيبة بين الناس ، تعيش بها ، رحمة الله في الدنيا أن يهبك زوجة صالحة تسرك إن نظرت إليها ، تحفظك إن غبت عنها ، تطيعك إن أمرتها ، رحمة الله في الدنيا أن يهبك الله ذرية طيبة ، أولاداً أبراراً ، رحمة الله في الدنيا أن تشعر بالغنى ، رحمة الله في الدنيا أن تشعر بفضل الله عليك ، ورحمة الله في الآخرة هي الجنة ، فذلك : " إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإن زوارها هم عمارها " لا أعتقد أنه هناك واحداً منكم يدخل عنده إنسان زائر لا يضيفه شيئاً إطلاقاً ، والله شيء صعب ، قد يحدث ، لكن خطأ ، أو لأمر قاهر ، أو مستعجل جداً ، أو ليس لديك شيء تضيفه ؟ أما في الأصل فمستحيل إنسان يدخل عليك ولا يضيفه ، فطالب العلم طالب رحمة الله : " إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإن زوارها هم عمارها ، فطوبى لعبد تطيب في بيته ، ثم زارني ، وحق على المزور أن يكرم الزائر " طالب العلم طالب الرحمة ، طالب العلم ركن الإسلام ، دقق حينما رأى النبي رجلاً يصلي في المسجد في النهار ، قال : من يطعمك ؟ قال : أخي ، قال : أخوك أعبد منك ، أما هذا الذي شكنا شريكه إلى النبي ، وشريكه طالب علم ، ماذا قال له النبي ؟ قال عليه الصلاة والسلام : لعلك ترزق به ، معناها العابد لذاته ، أما العالم فلغيره .

العابد واحد ، العالم أمة ، العابد قد ينجو وقد لا ينجو ، لأن إيمانه هش ، ضعيف المقاومة ، لا يتحمل الضغوط القوية ، لا يحتمل الإغراءات ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ))

[ الترمذي عن ابن عباس ]

طالب العلم قلعة من قلاع الإسلام ، طالب العلم ركن من أركان الإسلام ، ركن كبير ، مرجع ، وأنت تأتي إلى المسجد تستمع إلى التفسير ، إلى الحديث ، إلى الفقه ، إلى السيرة ، يوماً بعد يوم ، أسبوعاً بعد أسبوع ، شهراً بعد شهر ، عاماً بعد عام ، أنت في المسجد منذ عشر سنين ، يجب أن تكون مرجعاً ، ركناً في الحي ، بين الأقارب ، في أسرته ، بين جيرانك ، بين زملائك ، بين من تعرف ، بين من هم فوقك ، فأنت أصبحت مرجعاً ، فأنت لا تستهين بهذه المجالس ، هي عند الله غالية جداً .

ولا تنس أن خير البلاد مساجدها ، وأن شرها أسواقها ، إذا تجول الإنسان في الأسواق رأى البضاعة معروضة بشكل رائع ، عليها إضاءة رائعة ، ترى أن الحاجة ملبسة في هذه التماثيل ، وإضاءة شديدة ، والتمثال مصنوع باليد ، شيء مغرٍ ، لكن ليس لديك ثمن هذا اللباس ، ليس لديك ثمن هذا الطعام ، تنشأ في نفسك حسرة ، أو كبر ، أو حرمان ، أو شقاق زوجي ، إذا ذهب الإنسان مع زوجته إلى السوق تنشأ مشاكل ، اشتر هذه ، ليس لدينا ثمنها ، تقول له : خذ لنا هذه ، إنها جيدة ، هي على أنها جيدة هي غالية الثمن ، ترى إذا ذهب الزوج مع زوجته يعودان متخاصمين ، وإذا ذهبا إلى بيت الله يعودان متفاهمين ، بعدما سمعا الدرس كل شخص بينهما سمع بماذا يأمر الله عز وجل ، وعن أي شيء ينهى ، فالمسجد غير السوق ، السوق فيه مشاكل ، فيه عورات متكشفة ، هناك مغازلة بين البائعين والمشتريين ، وإغراءات ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :

((يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟ قَالَ : لَنَا أَدْرِي ، فَلَمَّا أَتَاهُ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَا جَبْرِيْلُ ، أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟ قَالَ : لَنَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، فَاتَّطَلَّقَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي : أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟ فَقُلْتُ : لَنَا أَدْرِي ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ : أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ؟ فَقَالَ : أَسْوَاقُهَا))

[أحمد عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ]



والحقيقة أن المؤمن من علامة إيمانه الصادقة أنه إذا أوى إلى المسجد كان كالسمك في الماء ، هذا مكانه الطبيعي ، هذا بيته ، هذا مكان تربيته ، هذا مكان عبادته ، هذا مكان أشواقه ، مكان أحواله ، مكان إقباله ، مكان استماعه ، هذا البيت مسجد ، فلذلك المسجد ركن أساسي في الحياة ، والنبي عليه الصلاة والسلام لو سألتموني أي شيء فعله بعد أن هاجر؟ أول عمل قام به بعد الهجرة أنه بنى مسجداً ، هذا المكان مكان الدعوة ، مكان الصلاة ، مكان الذكر ، مكان العلم ، مكان حلّ مشكلات المؤمنين ، مكان اللقاء ، مكان المصافاة ، مكان المعاتبة ، طالب العلم طالب الرحمة ، طالب العلم ركن الإسلام ، طالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله . يقبلها ويكافئك عليها ، ويعوضها عليك ، ويرحمك بها ، أن تقدم نفسك رخيصة في سبيل الله ، لذلك الذي يعرف الله عز وجل يعرف كيف يقدم نفسه الله ، لهذا طالب العلم لله أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله .

### تيسير أمور طالب العلم و تكفل الله برزقه :

هذه الأحاديث التي وردت بالجامع الصغير حول طلب العلم ، طالب العلم تيسر له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع ، الملائكة هؤلاء الأطهار الذين خلقهم الله عز وجل للتسييح والتقديس ، إذا طلبت العلم تضع لك هذه الملائكة أجنحتها تكريماً لك ، وتسهيلاً لك ، واسألوا طلاب العلم ، أمورهم ميسرة ، أنا لا أنسى أن الإمام أبا حنيفة النعمان رحمه الله تعالى سمع عن رسول الله حديثاً غير مجرى حياته ، أن طالب العلم يتكفل الله برزقه ، ودعوكم من شرح هذا الحديث على المستوى الواقعي ، طالب العلم الصادق الله سبحانه وتعالى ييسر له طريقاً للرزق يتناسب مع طلب العلم ، هناك أعمال تتطلب دوام اثنتي عشرة ساعة ، أعمال تتطلب دوام ست عشرة ساعة ، أعمال تحتاج جهداً جهيداً ، الله سبحانه وتعالى إكراماً لطلاب العلم ييسر لهم أعمالاً تتناسب مع طلب العلم ، هذا العمل يسمح له أن يطلب العلم ، وأن يحضر دروس العلم ، وأن يقرأ القرآن ، وأن يحفظ القرآن ، وأن يلتقي مع إخوانه ، فهذا من مكافأة الله له ، أن الإنسان إذا طلب العلم يهين الله عز وجل له عملاً يتناسب مع طلب العلم ، يتناسب معه وقتاً ، يتناسب معه دخلاً ، بأنك أنت نذرت نفسك في سبيل الله ، هذا معنى القول الذي نقل عن رسول الله أن طالب العلم يتكفل الله له برزقه ، وليس معنى هذا ألا يعمل ، وليس معناه أنه كسول ، لكن هناك مهناً شاقة ، توجد مهن متعبة ، هناك مهن تحتاج إلى وقت لا يحتمل ، ومهن مردودها أكبر من عملها ، فربنا عز وجل ييسر لكل طالب علم صادق عملاً يقويه السؤال .

مرّ معي منذ يومين دعاء تأثرت له كثيراً ، كنت أدعو به في بعض الخطب : " اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار " إذا يسر الله لك أمورك ، وجعل لك دخلاً معقولاً تصرف منه ، تأكل ، تشرب ، تلبس ، تتدفأ بالشتاء ، صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار ، إذا ضيق

الله على شخص ، يقف على الأبواب ، يتضعض أمام الناس ، ويسأل الأغنياء ، ويتمسكن أمامهم، وانظروا إلى البيت ، يا سيدي ، وهذا العنوان ، تعالوا ، انظروا ، ليس لدي شيء ، وأحدهم يقيم بيتاً خلبياً : " صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار ، فنسأل شر خلقك، ونبتلى بحمد من أعطى ، ودم من منع " تتشأ مشاكل مع الناس ، هذا لم يعطني ، هذا بخيل ، هذا شحيح، هذا يده مغلولة ، والذي أعطاك ليس أحد مثله ، وقد لا يصلي ، تبتلى بحمد من أعطى ، وتصبح عبداً للذي أعطاك ، الذي أعطاك فاسق ، تمدحه ، تنتي عليه ، هذا تقي ، نقي ، ورع ، قلبه من الله ، لكن لا يصلي ، شارب خمر ، تبتلى بحمد من أعطى ، وتبتلى بدم من منع ، لأن ربنا عز وجل جعلك تبذل وجهك بالإقتار ، شيء صعب جداً : " اللهم صن وجهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار فنسأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، ودم من منع ، وأنت من دونهم ولي العطاء، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم " ترى أن أهل الدنيا يقول أحدهم : هذا البيت لا أبيعها بثلاثين مليوناً ، مرتاح فيه ، هذا المحل سعر المتر ثمانمئة ألف ، ولا أبيعها أساساً ، هذه السيارة أنا أبيعها ، أعوذ بالله ، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم، لديه أولاد ، زوجة ، وبيت ، ومركبة ، ومتجر ، ومعمل ، ينام مرتاحاً ، يقيم حساباته وأرباحه، قال له : يا رب كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك ، إذا أحس المؤمن أن الله يحبه ، وله مقام عند الله عز وجل ، وربنا راضٍ عنه ، ويوقفه بأعمال صالحة ، ويطلق لسانه بالدعوة إلى الله ، والناس تستفيد منه ، وينام في المساء مرتاحاً ، وكأن عنده بيتاً بثلاثين مليوناً ، وكأنه مالك الدنيا : " اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك ، اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نراك ، وأسعدنا بلقياك ، ولا تسقمنا بالبعد عنك ، اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلينا ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندنا " والله هذا الدعاء سهل الحفظ ، ويدعى به في أوقات السحر، في السجود ، في قيام الليل .

**من ينفق من وقته في سبيل معرفة الله يعوض الله عليه وقتاً مباركاً :**

لازلنا في باب الطاء ، حرف الطاء :

**((طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات))**

[الدلمي في الفردوس عن حذيفة]

**((طالب العلم أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله))**

[السيوطي عن أنس]

**((طالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله))**

[الدلمي في الفردوس عن حسان بن أبي سنان]

**((طالب العلم طالب الرحمة ، طالب العلم ركن الإسلام))**

[الدلمي عن أنس]

## ((طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضى بما يطلب))

[ ابن عساكر عن أنس ]

هذه الأشياء أعيدها كثيراً ، هذا وقت الدرس ، هذا زكاة الوقت ، أنا والله أقول لكم عن تجربة ، أحياناً الإنسان يتكلم عن معلومات قرأها لا يؤثر في الآخرين ، ولكن والله الذي لا إله إلا هو أحياناً أتكلم عن واقع أعيشه ، أن الله عز وجل عندما تنتزع من وقتك الثمين ساعتين لمجلس علم ، لك تجارتك ، عندك لقاء ، عندك مواعيد ، عندك اجتماعات ، عندك أعمال إضافية ، وأنت عضو في لجان عديدة ، وتنتزع من وقتك الثمين ساعة أو ساعتين لمجلس علم لتتعرف إلى الله ، والله الذي لا إله إلا هو يطرح الله البركة في وقتك ، مثلاً شخص يجب أن تلتقي به ، ومن أجل أن تلتقي به لأبد من ساعتين ، فإذا بك تراه في الطريق ، أو شخص يجب أن تسافر إليه ، وأن تمضي يومين في السفر إليه ، فإذا به يأتي هو إليك ، كما أنك إذا أنفقت من مالك عوض الله عليك هذا المال أضعافاً مضاعفة ، تماماً إذا أنفقت من وقتك في سبيل معرفة الله عز وجل عوض الله عليك وقتاً مباركاً ، والله عز وجل بالمقابل قادر لسبب تافه جداً أن يضيع من وقتك مئة ساعة، إذا وضع الرجل يده على ابنه ، ووجد حرارته أربعين درجة ، ماذا يفعل ؟ يحتاج إلى طبيب في الليل ، قال له الطبيب : يحتاج إلى الدواء الفلاني فوراً ، ولا يوجد صيدليات ، فهو بحاجة إلى سيارة ، قال له : يحتاج إلى تحليل وتصوير ، بعد أسبوعين دفع حوالي خمسة أو ستة آلاف ، ثم أضع حوالي مئة ساعة ، ووجد أنه ليس بحاجة إلى شيء ، يمكن أن تتعطل قطعة في سيارة ، تتكسر مع الصانع ، ولا يوجد منها ، لا في الأردن ، ولا في لبنان ، وقد تكون غير أصلية ، أو قياسها أكبر أو أصغر ، وضاعت منك مئتا ساعة ، والله قال لي أحدهم : أنا لا أغيب عن الدرس ، ولكن نفسي حدثتني ، وضغط أهلي عليّ ، وأخذتهم إلى نزهة وقت الدرس ، وفي نبع بقين أريد أن أملاً الماء ، فجاء شاب ، وقال : دعني أساعدك ، فوجدت أخلاقه عالية ، وعندها فقدت محفظة أوراقى ، الهوية ، وشهادة السياقة ، والنقود ، وحتى حصلت على غيرهم مضى ستة أشهر ، لن أعيدها أبداً ، هذا الوقت وقت الله ، كما قال أبو يزيد البسطاني له كلمة مؤثرة ، له مجلس علم ، فلما رأى الناس حوله متحلقين ، قال : يارب هؤلاء لم يأتوا إلي ، والله جاؤوا إليك ، لكنهم رأوني ساجداً فأقبلوا عليّ ، فأنت لا تأتي إلى إنسان وإنما تأتي للواحد الديان ، هذا هو مجلس العلم ، أنت أتيت بيت الله عز وجل .

## التوفيق و التعسير بيد الله وحده :

وهناك حديث آخر ، عن جابر قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ :  
((طَائِرُ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي عُنُقِهِ))

[أحمد عن جابر]

معنى الطائر : العرب عندهم عادة جاهلية ، أن الإنسان إذا طار على يمينه طائر يتفاعل ، وإذا طار على يساره طائر يتشائم ، هذا هو التطير ، ألم يرد في قوله تعالى :

﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾

[سورة يس : ١٨]

أي تشاءمنا منكم ، التطير هو التشاؤم ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ))

[مسلم عن أنس]

فالتطير هو التشاؤم ، وهذه كلها أشياء جاهلية ، دخل شخص فألغيت البيعة ، فهذا قدمه شؤم ، ليس له علاقة ، رقم ثلاثة عشر ، يوم الأربعاء ، هذا كله كلام فارغ ، هذه الأشياء من أيام الجاهلية ، لا يوجد إلا شيئان في الكون ، توفيق وتعسير ، التوفيق بيد الله ، والتعسير بيد الله ، قال تعالى :

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \*  
وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

[سورة الليل الآيات : ٥- ١٠]

ليس هناك حظ ، كما يقال : فلان محظوظ ، وهذا الكلام يقوله النسوة غالباً ، الله عز وجل هو الحكيم ، هو الخبير ، لو فرضنا فتاة حظها جيد ، والله بعث لها زوجاً غنياً أسكنها بيتاً فخماً ، والمركبة واقفة على الباب ، والطعام طيب ، وكل شيء أحسنه ، وأخذها إلى جهنم أخيراً ، كيف كان حظها ؟ وفتاة ثانية حظها قليل ، أسكنها في بيت صغير ، ومظلم ، والأكل وسط ، وهذا أوصلها إلى الجنة ، فكيف كان حظها ؟ كلمة حظ كلمة ليس لها معنى إطلاقاً ، لا الحظ ، ولا التشاؤم ، ولا الطيرة ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((طَائِرُ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي عُنُقِهِ))

[أحمد عن جابر]

أي خيرك منك ، وشرك منك ، تفاؤلك منك ، وتشاؤمك منك ، عملك ، وقد كنت أقول مرة مثلاً أقوله دائماً : معك كيلو من الذهب ، والناس ظنوه حديداً ، وأصبحوا يتندرون بك ، يطعنون فيك ، ويطولون أسنتهم عليك ، هل يمكن أن يكون هذا الكيلو حديداً ؟ يبقى ذهباً ، وثنمه معه ، والآن أنت تملك كيلو حديداً ، وبذكاء ، وبطلاقة لسان ، وبقوة إقناع أوهمت الناس أنه ذهب ، فصدقوك ، هل صار ذهباً ؟ بقي حديداً ، خيرك منك ، وشرك منك ، خيرك من عملك ، وشرك من عملك ، توفيقك من عملك ، وعسرتك من عملك ، المصائب من عملك ، والرحمات من عملك ، لا تنتهم أحداً ، لا تنتهم حظاً ، ولا دهرًا ، ولا قدرًا ، ولا زمنًا ، ولا ظروفًا ، ولا بيئةً ، ولا معطيات ، ولا وضعًا عامًا ، ولا شح السماء ، اتهم عملك ، فالنبي الكريم يقول :

## (( لا يخافن العبد إلا ذنبه ، ولا يرجون إلا ربه ))

[مصنف ابن أبي شيبة عن علي موقوفا]

فطائر كل إنسان في عنقه ، قال تعالى :

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾

[سورة الإسراء : ١٣]

هل هذا الحديث صحيح ؟ القرآن يؤيده ، فليس هناك تشاؤم ، عمك مستقيم ، تأتيك الخيرات ، هناك انحراف ، وهناك مال حرام ، يأتي الإلتلاف ، من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إلتلافها أتلفه الله .

والله مرة أخ زارني في البيت ، قال : كم تقدر عمري يا أستاذ ؟ قلت : حوالي ستين سنة ، قال : ست وسبعون سنة ، وأنا مثل الحصان ، وقال : أعارك الحائط ، أقسم بالله أنه لم يأكل قرشاً حراماً في حياته ، ولا يعرف الفاحشة في حياته ، طبعاً من عاش تقياً عاش قوياً ، هذا قانون ، يا سيدي ما هذه الصحة ؟ ستة وتسعون عاماً ، شيخ الأزهر ، وقد وزعنا كتاباً عليكم ، كلمات قرآن ، لحسين مخلوف ، هذا معجم صغير ، إذا كنت تقرأ القرآن كل سورة بسورتها ، فالكلمات الصعبة مشروحة بمعجم صغير ، يقدر بعشرين أو ثلاثين ليرة ، اسمه كلمات القرآن ، لحسين مخلوف ، الذي عاش مئة وثلاثين سنة ، عاشها صحيحاً قوياً ، ما هذه الصحة ؟ ست وتسعون سنة ، البصر حاد ، والسمع مرهف ، وعلى كل خذ وردة ، وطويل ، قات : يا بني حفظناها في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر ، والله يا أخوان المؤمن عمره مبارك ، فليهنأ به ، فصلواته ، وصيامه ، وحجه ، وزكاته ، وغض بصره ، وإنفاقه للمال ، ورعاية الأيتام والأرامل والمساكين ، وبينني المساجد ، ويخدم الناس ، فإله عز وجل شكور ، هؤلاء عباده ، فإذا تغاضيت لشخص عن كلمة صدرت منه ، لأنه خدمك خدمة بأحد أولادك ، فقلت له : والله لا أنسى لك هذا العمل حتى الموت ، لأن الابن غالٍ جداً ، فإذا كان العبد مع قليل من الإيمان يجعل عندك كل هذا الشكر ، فكيف ربنا عز وجل ؟ وهو الشكور ، أنت تدعو إلى الله ، وتخدم عباده ، وترحمهم ، وتمنحهم الأمن ، تخفف مصائبهم ، تمشح جراحهم ، تهديء من روعهم ، تأويهم إلى هذا البيت ، هذا بعمل ، هذا تدله على الله ، أنت ليس لك شيء عند الله عز وجل ، بالعكس ، فهناك تشاؤم شيطاني ، شيء مخيف ، الله كله رحمة ، الله شكور ، فهناك تشاؤم شيطاني ، الشيطان أحياناً يضيق ، أشياء صعبة جداً ، وأنت لست ناجياً ، لا ، فأنا أرجح جانب التفاؤل ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((بَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُتَفَرُّوا))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((سَدِّدُوا وَقَارِبُوا))

[متفق عليه عن عائشة]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :  
((بَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

نفسك مطينك فارق بها . إذا :

((طَائِرُ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي عُنُقِهِ))

[أحمد عن جابر]

## طاعة المرأة في الأمور العامة ندامة :

الحديث قبل الأخير :

((طاعة النساء ندامة))

[مسند الشهاب عن عائشة ، والسيوطي في الجامع الصغير]

شُرِّحَ الحديث قالوا : إذا أطعت المرأة في أمر من اختصاصك ، بع هذا المحل ، وخذ لنا بيتاً أوسع ، هذا المحل مورد رزق ، إذا بعته توقف ذلك ، هذا شيء ليس من اختصاصها . سيدنا عمر زوجته سألته سؤالاً متعلقاً ببعض إخوانه ، فلان ما وضعه ؟ فغضب سيدنا عمر غضباً شديداً ، وقال : يا أئمة السوء ، ما شأنك بهذا ؟ هذا ليس من اختصاصك . فهذا يعني أن الإنسان لا يطيع المرأة في أمور متعلقة به ، من اختصاصه ، هناك أمور عامة ، هذا الشيء تطاول منها ، وحشر أنف من غير مبرر ، أما في بيتك فلها أن تفعل ما تشاء في شأن بناتها ، اختصاصها ، لها مطلق الأمر ، طريقة الصلاحية في اختصاصها ، لكن تتدخل في شؤون تكون عامة ، علاقة الإنسان مع أقرانه ، مع إخوانه ، مع زبائنه ، هذه مشكلة كبيرة ، فالنبي الكريم قال :

((طاعة المرأة ندامة))

[السيوطي في الجامع الصغير]

وهناك حديث آخر :

((طاعة النساء ندامة))

[مسند الشهاب عن عائشة ، والسيوطي في الجامع الصغير]

## توجيهات النبي في التعليم :

قبل أن ننهي الدرس ، النبي عليه الصلاة والسلام له توجيهات لطيفة جداً في التعليم ، قلنا : طالب العلم ، لكن إذا أحب الطالب أن يعلم فهناك توجيهات ، من هذه التوجيهات أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا عبر عن علاقات زوجية كانت تعبيراته دقيقة جداً ، ولطيفة ، ولا تجرح الحياء ، فعن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

دعته إلى ماذا؟ مفهوم، الكلام واضح، انظر، تعلم من النبي، أما ذكر الأعمال الفاحشة بألفاظها، بتفصيلاتها، ليس هذا من شأن طالب العلم، ولا من شأن الداعية إلى الله، عن ابن أسامة بن زيد أن أباه أسامة قال:

((كَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبُطِيَّةً كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيِّ ، فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبُطِيَّةَ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَرُّهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلَالَةً ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا ))

[أحمد عن ابن أسامة بن زيد أن أباه أسامة]

والله كلمة عظام ليست منفرة . قال تعالى :

﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾

[سورة النساء : الآية ٤٣]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

[سورة المؤمنون : ٥-٧]

أدخل كل الانحرافات، كل أنواع الانحرافات في العلاقات الجنسية دخلت تحت:

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

فالإنسان يتأدب بأدب القرآن، يتأدب بأدب النبي، أحياناً تجد على المنبر يقال: إن في الطريق نساء كذا وكذا، يصف أعضاءهن، صدورهن، نحورهن، أصبح موضوعاً ثانياً، أصبح أدباً مكشوفاً، فالنبي الكريم ذكر رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، هذا توجيه من توجيهات النبي.

التوجيه الثاني كما قلت في أول الدرس: أعرابي جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، قال: يا رسول الله، ثيابنا في الجنة ننسجها بأيدينا؟ أي هناك معامل نسيج؟ والله سؤال سخيف، في الجنة، فضحك القوم، لما ضحك القوم أجابه بأدب جم، وباحترام شديد، حتى يشجع الآخرين على السؤال، إياك إذا كنت تعرف شيئاً، وأحدهم سألك سؤالاً تتهكم عليه، أو تسخر منه، تحطمه، تدوبه ذوباناً، تربي الناس أن يسألوك سؤالاً، هذه أخلاق العلماء، هناك علماء جبابرة، قال: تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعلمون، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، يكون هناك تواضع متبادل، تتواضع لطلاب العلم، ويتواضعون لك، أما إذا كنت تتقن شيئاً، وأحدهم غلط تصب عليه التهكم والسخرية، فهذا ليس من أخلاق الدعاة إلى الله.

هناك موقف ثالث : النبي عليه الصلاة والسلام رأى أما تُقْبِلُ ابنها ، فاستغل هذه الناحية عَنْ  
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(( قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيٌّ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَبُّبُ نَدِيهَا تَسْقِي ، إِذَا  
وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا ، وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ : أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَكَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ قُلْنَا : نَا ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ :  
لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا ))

[البخاري عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ]

الوقت ضاق بنا ، ولكن هناك موضوع لطيف جداً ، كيف علم النبي أصحابه ؟ هذا الموضوع  
متعلق بالتربية ، أنت طلبت العلم الآن ، لو أحببت أن تعلم فيجب عليك ألا تنفر ، ألا تخوف ، أن  
تُبشّر ، أن تُسدّد وتُقارب ، وأن يغلب عليك الاعتدال ، استخدام الأمثلة ، استغلال الوقائع .

النبي الكريم رأى شاة ملقاة في الطريق ميتة ، عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ :

(( كُنْتُ مَعَ الرِّكْبِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّخْلَةِ الْمَيْتَةِ ، فَقَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتُرُونَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ أَلْقَوْهَا ؟ قَالُوا : مِنْ  
هُوَ أَلْقَاهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَالِدُنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا ))

[الترمذي عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ]

رأى أما تُقْبِلُ ابنها فقال : أتلقى هذه بولدها إلى النار ؟ قالوا : معاذ الله ، قال : والذي نفس  
محمد بيده لله أرحم بعبده من هذه بولدها . رأى شاة ميتة قال : انظروا كم هذه هينة على أهلها ،  
والله للدنيا أهون عند الله من هذه الشاة على أهلها .

## توجيهات أخرى للنبي الكريم :

إن شاء الله في درس قادم نتعلم شيئاً عن أصول التعليم ، كيف علم النبي أصحابه؟ كيف كان  
يسألهم ، وكيف يجيبهم ، كيف كان يأخذ موقفاً ذكياً جداً ، هو على المنبر يحدث الناس ، ويخطب  
بهم ، فخرج واحد ، وسأله في أثناء الخطبة ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( مَا أَعَدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ : حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ))

[مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

هذا جواب ذكي ، فبدل أن يجيبه ردّ عليه بسؤال آخر .

أبو حنيفة كان عند المنصور ، وعنده قاضٍ عدو له ، أراد أن يخرجه فقال له : يا أبا حنيفة إذا  
أمرتي المنصور بقتل امرئ أقتله أم أترثه ؟ بالطبع هذا سؤال محرج ، إن قال له : لا ترد عليه  
، لا يستطيع ذلك فالخليفة موجود ، وإن قال له : اقتله ، فقد أغضب الله عز وجل ، فأدرك أن  
هذا الإنسان يريد الكيد له ، فقال له - والخليفة موجود - : هل الخليفة على الحق أم على الباطل



؟ فقال له : على الحق ، فقال له : إذا أنت كن على الحق ، وانتهى الأمر ، فلما خرج قال : أراد أن يقيدني فربطته . فالنبي الكريم هكذا علمنا :

(( مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَعَدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ : حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ))

فإن شاء الله سنخصص فقرة من حين لآخر كيف علم النبي أصحابه ؟ كيف حاورهم ؟ كيف سألمهم ؟ كيف وضع لهم ؟ فأنا لا أعتقد أن هناك مثلاً أروع من أن قوماً استهموا في سفينة ، وهذه السفينة فيها الكثير من الركاب ، وأخذ كل واحد منهم مكانه في هذه السفينة ، فأحدهم أحب أن يحفر بمكانه - لا أعتقد أن هناك مثلاً أوضح وأدق - قال : فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مِثْلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمِثْلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرَّوْا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤَدَّ مِنْ فَوْقِنَا ، فَإِنِ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنِ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا ، وَنَجَوْا جَمِيعًا))

[البخاري عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

سمعت قصة من يومين ، قالها لي أخ : شخص يركب سيارة ، وفيها اثنان ، امرأة وزوجها ، يبدو أنهم ينتظرون حقيبة ، فقالت الزوجة لزوجها : لقد تأخر ، والله قد أخرجنا أمام السائق ، بعد ذلك أتى رجل كبير في السن ، وهو يحمل هذه الحقيبة ، فالشاب وكزه ، وقال له : لماذا تأخرت ؟ فإذا هو والد هذا الشاب ، فنظر إليه السائق ، وقال له : أهذا والدك ؟ فأجابه : نعم ، فقال له : انزل من سيارتي ، لأنك عاق الوالدين ، وهذا سيغضب رب العالمين .

فخطر ببالي لو أن العاصي والمنحرف يبنذه الناس ، فعندها ستخف المعاصي ، أما إذا رحبنا به ، وسكتنا عنه ، وأكرمناه ، وهو عاق الوالدين فسيتفشى الانحراف ، هذا معنى الآية الكريمة :

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَأُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾

[سورة الأنفال : ٢٥]

إذا ضيقنا على المنحرف ، وعاتبناه ، وعنفناه فالانحراف يقل ، أما منحرف ، ومعزز ، ومكرم ، ويستقبل بترحيب من الناس ، وهو عاق الوالدين فهذا شيء بشع ، هذا معنى أن يعم البلاء ، كيف يعم ؟ إذا سكت الناس ، وما أمروا بالمعروف ، وما أنكروا المنكر ، والمنكر شاع ، فهم مذنبون ، عندها يعم البلاء .

والحمد لله رب العالمين